قلت إنما سكت الأولون عنه لأن القصد من إنزال القرآن تعليم الحلال والحرام وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان ولم يقصد منه تعليم طرق الفصاحة وإنما جاءت لتكون معجزة وما قصد به الإعجاز لا سبيل إلى معرفة طريقه فلم يكن الخوض فيه مسوغا إذ البلاغة ليست مقصودة فيه أصلا لأنه موجود فى الصحف الأولى لامع هذه البلاغة المعينة وإنما كان بليغا بحسب كمال المتكلم فلهذا لم يتكلم السلف فى ذلك وكان معرفتهم بأساليب البلاغة مما لا يحتاج فيه إلى بيان بخلاف استنباط الأحكام فلهذا تكلموا فى الثانى دون الأول .

واعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هى عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام ا وهى قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة ولو لم يحبب الفصاحة إلا قول ا تعالى الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان لكفى والمعلومات كثيرة ومنن ا تعالى جمة ولم يخصص ا من نعمه على العبد إلا تعليم البيان وقال تعالى هذا بيان للناس وقال تعالى تبيانا لكل شىء .

ولحذف الواو فى قوله تعالى علمه البيان نكتة علمية فإنه جعل تعليم البيان فى وزان خلقه وكالبدل من قوله خلق الإنسان لأنه حى ناطق وكأنه إلى نحوه أشار أهل المنطق بقولهم فى حد الإنسان حيوان ناطق .

ولا شك أن هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه ليتمكن بها من اتباع التصديق به وإذعان النفس له .

وينبغى الاعتناء بما يمكن إحصاؤه من المعانى التى تكلم فيها البليغ مثبتا ونافيا